الواقع الافتراضي في الخطاب الروائي لثورة يناير ٢٠١١

مها عبد الفتاح إسماعيل أحمد (*)

المقدمة

لقد حظيت الرواية في عصرنا الحديث وخاصة في العقود الأخيرة باهتمام منقطع النظير بين الأجناس الأدبية الأخرى إبداعًا ونقدًا حتى أصبحت مقولة زمن الرواية واحدة من أكثر الكلمات تناولًا وتداولًا بين القراء والنقاد. ووجدنا بعض النقاد يستبدلون مقولة "الشعر ديوان العرب" بمقولة "الرواية ديوان العرب في العصر الحديث"(١).فالرواية تعد الإطار الذي يرصد لنا أهم القضايا والأحداث في العصر الحديث تمامًا، مثلما كان ذلك دور الشعر في العصور السابقة. ومن أهم تلك الأحداث الفارقة في عصرنا الحديث "ثورة الخامس والعشرين من يناير"، تلك الثورة التي أرادت تغيير ملامح الوجه المصري في ثمانية عشر يومًا. ولأن الأدب بشكل عام والرواية علي وجه الخصوص هي انعكاس للأحداث؛ فقد انبرت بعض الأقلام الروائية الشابة لتؤرخ للحدث من وجهة نظر مبدع وبكلمات روائي ممتلك لأدواته وله لغته الخاصة التي يعبر بها عن رؤيته لتلك الأحداث.

لقد أحدث التطور التقني وسائل من التعبير المتطورة والمعتمدة على تلك الوسائل والتي تتمثل في Internet:

Inter "بادئة معناها بين؛ وسط أو على نحو متبادل أو متفاعل"(٢) والمقطع الثاني هو: "net تعني شبكة خطوط أو شبكة محطات إذاعة أو

(*) هذا البحث من رسالة الماجستير الخاصة بالباحثة، وهي بعنوان: [الخطاب الروائي لثورة يناير ٢٠١١م (دراسة نقدية)]، تحت إشراف: أ.د. أحمد يوسف محمد خليفة – كلية الآداب – جامعة سوهاج & أ.د. بهاء محمد محمد عثمان – كلية الآداب – جامعة سوهاج.

(١) جابر عصفور، زمن الرواية، دار المدى للطابعة والنشر، العراق، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م، ص١١.

(2)(Al-mawrid:AmodernEnglish-arabicDictionary by MunirBaalbaki copyright by DAR-Elllm Lil-Malayan Beirut-Lebanon –copyright-no(31) ٩٧ p:473.

تلفزيون يربط بعضها ببعض بحيث تتمكن من بث البرنامج في وقت واحد"[٣] وبتحليل المقطعين وجدت الباحثة أن ما يقصد بها هو التفاعل عبر شبكة خطوط واحدة في نفس التوقيت أو بمعنى آخر وسط شبكي يبث في وقت واحد سامحًا بالتفاعل بين الناس تلك البداية التي تدخل المتفاعلين عبر هذا الوسيط الشبكي، وهذا التعريف تدخل الدراسة إلى مفهوم من كلمتين هو: virtual reality. وكلمة virtual في المورد تعني: "تفاعل أو تأثير افتراضي"[٤] أما reality فمعناها في المورد: "معناها حقيقة أو واقع "[٥] وبكل هذه المعاني الواردة في المورد تمكنت الباحثة من الوصول إلى أن تعريف الواقع الافتراضي أنه: تفاعل أو تأثير افتراضي يحدث عبر وسيط شبكي يمكنه أن يجعل التزامن بين المتفاعلين والمحتوى في وقت واحد وهذا التواصل أو التفاعل هو افتراضي، أي أنه ليس تواصلًا على أرض واقعية كما أنه ليس متخيلًا لأن هناك تفاعلًا يحدث بالفعل لكنه تواصل ماثَل الواقع ولا يطابقه، وتلك المحاكاة تستخدم لنقل فكرها وسائط متحركة وألفاظًا وصورًا خيالية. وهذا الفكر أكد عليه د. شاكر عبد الحميد أنه من المفاهيم الخاطئة أن النظر إلى الواقع الافتراضي على أنه عالم من الخيال فهو نوع من المحاكاة التي تُقدّم في صورة أدواتها من الخيال[٦] ولهذا الواقع وسائط محاكية متعددة الأشكال منها: المنتديات، مواقع التواصل الاجتماعي مثل: (Facebook-instgram-whatsapp-twitter)، غرف pal talk للمحادثات (E-mail) وغيرها من المواقع أو البرامج الإلكترونية التي تحقق التواصل الافتراضي. وتلك المواقع والبرامج التي تمثل (الواقع الافتراضي) كانت هي صوت الشباب الصامت في ثورة الخامس والعشرين من يناير، فأولئك الشباب لم يكن لديهم القدرة على التواصل والتجمع بشكل واقعي نظرًا لما عانوه من قهر لحرياتهم – وإن أظهرت أبواق النظام في تلك الفترة غير ذلك، لكنهم نجحوا في أن يبدعوا في استخدام أماكن بديلة للتجمع والاتفاق

([٣]) المصدر السابق، ص٦١٠.
([٤]) المصدر السابق، p:1032
([٥]) المصدر السابق، p:763
([٦]) انظر: د. شاكر عبد الحميد، عصر الصورة السلبيات والإيجابيات، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الأعلى للفنون والآداب، طبعة ٣١١، ص١٩.

وليس هناك أكثر تفاعلية وأمانًا من الواقع الافتراضي ومواقع التواصل الاجتماعي خاصة وأنهم تمكنوا من التواصل بأسماء وصور تخيلية مستعارة.

ولأن تلك الروايات تحدثت عن فترة الثمانية عشر يومًا في ثورة الخامس والعشرين من يناير، فالواقع الافتراضي كان أحد الأدوات الفاعلة في ثورة يناير حيث أنه كان صوتًا ومكانًا حاضرًا وبقوة على صفحاتها، والتي غيرت في المجتمع ووسائله الاحتجاجية فقد انعكست تلك الآلية على الروايات؛ فقد أتاح الواقع الافتراضي وخاصة مواقع التواصل الاجتماعي البيئة الافتراضية المناسبة التي شكلت متنفسًا للتعبير عن رفضهم بشخصيات افتراضية دون خوف من القهر الفكري والسياسي، وقد انعكس ذلك على مضمون الروايات. وهذا ما ستتطرق الدراسة إلى تحليله في السطور التالية:

العتبات النصية والواقع الافتراضي:

الواقع الافتراضي ظهر في عدة روايات من روايات الثورة المصرية جاءت من خلال روايتي "إمبراطورية المساخيط الفيساوية" فالمستوى التركيبي لهذا العنوان يتكون من مبتدأ ومضاف إليه ونعت فهو عنوان من جملة اسمية وخبر تلك الرواية هو نص الرواية الذي حدثنا عن تلك الامبراطورية وشخصياتها وأحداثها وزمانها وأمكانها ووزرائها وملك تلك الإمبراطورية.

المستوي الدلالي للعنوان:

الثلاث الكلمات المستخدمة في العنوان هي: إمبراطورية: وهو المعنى المستخدم لمملكة خاصة وحياة متبانية عن غيرها وأشارت إلى الحضارات القديمة وأضاف إليها لفظ المساخيط، وهي تدل على مخلوقات عجائبية انتمت للحضارات القديمة واستخدام اللفظ جمعًا دل على كثرة تلك المخلوقات فكونت مملكة ونسبها للفيساوية دل على ربط ما بين الماضي والمستقبل وما بين القديم والحديث، فالثورة المصرية هي نتاج إيقاظ تاريخ المواطن المصري وخروجه من مخبئه. وقد استغل مستحدثات طرائق التواصل الاجتماعي مثل الفيسبوك. أما المستوى اللوني مرتبط بالواقع الافتراضي فاستخدام اللون الأزرق انطبق تمامًا مع الألوان المستخدمة في الواقع الافتراضي وهو اللون الأزرق وحتى الغلاف في الرواية

فأبرز فيها مواقع التواصل الاجتماعي من فيسبوك وتويتر فالثورة المصرية نتجت عبر الثورة التكنولوجية من خلال تلك المواقع وتواصل الشباب المصري من خلالها. الرواية الثانية هي رواية "طلب صداقة" المستوي التركيبي للعنوان من جملة اسمية من كلمتين هي طلب كمبتدأ وصداقة هي مضاف إليه وخبر تلك الرواية هو تفاصيل طلب الصداقة ولمن قدمت وما نتائجها وتأثيرها على بطل الرواية وكاتبها. أما المستوى الدلالي لهذا العنوان وعلاقته بالواقع الافتراضي فطلب الصداقة هو أحد المفردات المستخدمة في عالم الواقع الافتراضي فالبشر لا يمكنهم التواصل عبر هذا العالم والولوج إليه إلا من خلال طلب صداقة أما الغلاف فأنت أمام بطل القصة وهو جالس أمام الجهاز السحري جهاز الحاسب الآلي الذي انطلقت من خلاله طلبات الصداقة مفتاح الولوج لهذا العالم العجيب.

استهلال رواية "طلب صداقة":

بدا استهلال تلك الرواية متعلقًا بالواقع الافتراضي من خلال أسلوب إنشائي "منذ متى لم أتابع صفحتي على الفيسبوك؟ ترهقني تلك التعليقات، إلحاح بعض الأدباء عليّ بأن أتناول عملًا أدبيًا ما.."[٧]. فالواقع الافتراضي في مواقع مثل :الفيسبوك اعتمد في أساسه في التواصل على طلبات الصداقة واستخدام الأسلوب الانشائي دلل علي استنكاره للقهر الذي يعانيه الكاتب بالإشارة إلى أن تلك التعليقات عبر الواقع الافتراضي قد أرهقته فكريا لكنها بعثت بداخله عالمًا جديدًا ثار من خلاله على واقعه وقهره الثقافي. ويضفي الواقع الافتراضي بظلاله على العنوان الفرعي الأخير في الرواية ذاتها (kafr abu eloion.com.كفر أبو العيون)[٨] فكتب العنوان على شكل رابط نصي لأنه جعل من قصته حكيًا افتراضيًا التواصل فيه أصبح بينه وبين أهل قريته تم عن طريق طلبات الصداقة التي تضع على خارطة طريق المستقبل الذي ثار على واقعه، فاندمج مع واقع الشباب في ثورته على أوضاع طال انتظار تغييرها فكان العنوان الفرعي الختامي للرواية هو الولوج إلى أدوات التقنيات الحديثة للاتصال. غلاف رواية (ثورة العرايا) رأت فيه الباحثة الصورة الإشهارية

([٧]) طلب صداقة، مصدر سابق، ص٥.
([٨]) المصدر السابق، ص١٩٤.

بداخله، وقد أشارت إلى خيوط شبكة العنكبوت التي بداخلها تحرك شباب في تلميح أن قضايا تلك الثورة من قهر وسلطة وإعلام وأقنعة تساقطت وجوهها كانت الشبكة العنكبوتية ممثلة في الواقع الافتراضي هي الطريقة المستحدثة للتعبير عن تلك القضايا وإن لم يبرزها الكاتب في مضمون روايته.

ففي رواية (سقوط الصمت) "لا ينسى حسام صديقه الأول في غرفة الدردشة التي أنشأها عام ألفين وواحد ٢٠٠١ على البال توك أيامها كانت هذه الغرف للترفيه والتسلية نكات وصور غريبة وأغان جديدة ومحاولات لا تنتهي في اصطياد لحظة غرام عابر ذائب في فراغ الأثير. تجول حسام في غرف مناظرة أقامها فلسطينيون فوجدها حافلة بنقاش سياسي وفكري جاد يدور على كل ما يثار في الإعلام الإسرائيلي ضدهم على الفور. حول غرفته إلى منبر سياسي، وأطلق على نفسه اسم "فرعون" كان أول من دخل الغرفة في هيئتها الجديدة "حسن عبد الرافع" وسرعان ما تصادقا وأصبح معهما فقط مفتاح الدخول. نفخ حسن في هذه المساحة الإلكترونية الضيقة من حماسه ومعرفته فاتسعت أرجاؤها وصارت منبرًا وسيعًا لتبادل الرؤى وتلمس الخطى على طريق إيقاظ الهمم النائمة. ولفت انتباه الأذهان الشاردة إلى فداحة الواقع وقبحه التي تنغرس فيه أقدامهم هنا كانت النقطة الأولى التي انطلقت بها رحلة الناس إلى طريقة أخرى للتواصل"[٩] "حين وجدوا دعوات تتناسل في العالم الافتراضي للاحتجاج يوم عيد الشرطة قالوا جميعًا: هذا يوم الثأر العظيم"[١٠].

إن هذين المشهدين عبَّرا عن قضية واضحة في واقع الثمانية عشر يومًا وظهرت في روايات الدراسة تلك الثورة التي ثارت على الظلم والقهر وحتى ثارت معها على طرق التواصل المعتادة، فاستخدمت أدواتها من نفس عصرها وسرد لنا المشهد الأول الشرارة الأولى للثورة على الطرق المعتادة للتواصل هروبًا من قهر مارسه أصحاب السلطة على شباب حرم من حقه في بلاده؛ فبعد أن كانت الغرف الإلكترونية ذات طابع ووظيفة ترفيهية أوجد لها الثوار وظيفة أخرى هي التواصل للتغيير. أصبحت بالنسبة لهم الملاذ الآمن من أعين المراقبة

(٩) سقوط الصمت، مصدر سابق، ص١٧٤-١٧٥.
(١٠) المصدر السابق، ص٥٦١.

المترصدة لكل آرائهم حتى لو كانت في إطارها المشروع. ولاحظت الدراسة أن اختيار الاسم الذي اختاره حسام لنفسه (فرعون) له دلالاته أنه استمد قوته من مصر الحضارة الخالدة وأنهم مهما جرت عليهم قوى الاستبداد السلطوي فأتى اليوم الذي استردوا فيه كرامتهم المهدرة وحقوقهم في وطن سلبته منهم أيدي الباغيين. وإن كانت تلك البداية التي فعلها حسام أو فرعون الافتراضي لم تكن إلا شرارة عرف بها الشباب الطريق الإلكتروني للتعبير عن آرائهم واللقاءات الافتراضية التي ظهرت عوضًا عن اللقاءات الواقعية. أما المشهد الثاني فقدمت دعوات عرف بها الشباب الطريق الإلكتروني للتعبير عن آرائهم واللقاءات الافتراضية التي ظهرت عوضًا عن اللقاءات الواقعية. أما المشهد الثاني فتحدث دعوات العالم الافتراضي المُنادي بالتظاهر في يوم "عيد الشرطة"، فكان صوتًا صامتًا ثائرًا منطلقًا من عالم افتراضي بشخصيات افتراضية لها واقعيتها، فعلًا شيئًا فشيئًا وخرج كالقمقم من مخبئه معلنًا عن كل ما دار في العالم الافتراضي محولًا إياها إلى شعارات مدوية، هي في حقيقتها معاناة دامت لسنوات وجاءت التقنية الحديثة، فأخرجتها من الصدور إلى الألسن عبر كل ميادين مصر وكأن السلطة حينها أعطت للشباب الأداة التي أسقطوا بها صمتهم فكانت بداية سقوط الصمت من الواقع الافتراضي وسقط الجدار في الميدان. كذلك الأمر في رواية (فراشة الميدان) الواقع الافتراضي حضوره بكثافة مع عبير بطلة الرواية وأحداثها "وعرفت كيف تدخل على الانترنت والمواقع المختلفة التي كانت تسمع بها من قبل وأول ما فكرت فيه هو البحث عن أغاني المطرب وحيد مهدي وبدأت تنتقل من موقع لآخر لتشاهد آخر أغانيه وكليباته المصورة، حتى نجحت في الوصول إلى موقعه الشخصي بل وأرسلت إليه بعض كلمات تشير إلى إعجابها بها وبأغانيه وسعدت كثيرًا عندما اكتشفت بعد يومين أن هناك ردًا منه على رسائلها"[١١] ذلك المقطع بيّن بداية علاقة التعارف بين عبير وعالم الواقع الافتراضي فهي ما زالت تستخدم الشبكة العنكبوتية الاستخدام التقليدي من تصفح وسماع أغاني مطربها المفضل حتى بدأت تنشئ معه عالمًا فضائيًا افتراضيًا للتواصل معه أو هكذا صُوِّر لها في البداية، فهذا العالم بدأ يتشكل

(١١) فراشة الميدان، مصدر سابق، ص٢٢.

بمفرداته الحديثة فغيّر في حياة "عبير" الخاصة، ثم انعكس على حياتها العامة ووضع البلاد العام" وعندما علمت زميلاتها بأن عبير أصبحت عضوة في نادي الكمبيوتر بعد أن امتلكته أخذن إيميلها الخاص وبدأْنَ في مراسلتها والتحدث معها عبر الشات، الأمر الذي أسعد عبير كثيرًا وشغل وقت فراغها الذي كانت تقضيه بين جدران غرفتها"(١٢). لا زالت عبير تستخدم عالم الإنترنت استخدامًا تقليديًا فما زال أصدقاؤها الحقيقيون هم أصدقاء العالم الافتراضي سوى مطربها المفضل، فلا زالت تستخدم بريدها الإلكتروني فقط "وذات مرة تحدثت ملك مرة أخرى مع عبير عن موقع الفيسبوك الذي يضم جروبات مختلفة، ويمكنه أن يجعل عبير تنفتح على العالم وهي على سريرها بغرفتها، فهو يطلعها على أحداث العالم أولًا بأول، بل ويعطيها الفرصة للمشاركة برأيها في مجريات الأحداث لتشارك بحرية بعيدًا عن سيف رقابة الحكومات الذي يتم وضعه على رقاب الشعوب، وبذلك أصبح الفيسبوك متنفسًا لها ولغيرها من الشباب اليائس المحبط والفاقد الثقة في الغد. ومنحتها ملك عنوان موقعها على الفيسبوك، وأسست عبير صفحة على هذا الموقع ولكنها في البداية لم تضع صورة لها وكأنها تحاول أن تجس النبض"(١٣). تعرفت عبير على موقع الفيسبوك وأسست لها صفحة على هذا الموقع، وخاطبت صديقتها وتواصلت معها بطريقة تواصل مختلفة فكادت تتعرف على هذا العالم الخفي عنها بأسراره وهي قد حاولت أن تفك طلاسمه وعرفت شفرة أسراره. "فاقترح عليها أن تنضم لحركة جديدة تضم الكثير من الشباب والفتيات الذين يستهدفون الثورة على الأوضاع السيئة وقد أطلقوا عليها "التغيير اختيارنا"، ولها على موقع الفيسبوك وعليها بزيارة هذا الصفحة لتتعرف على أعضاء هذه الحركة"(١٤). كما بدأت رياح التغيير وهبّت على الواقع الافتراضي كما هبت رياحه على تعامل عبير مع التقنية التكنولوجية الحديثة، وكأن نظرة عبير قد اختلفت نحو تعاملها مع الواقع الافتراضي، مثلما قرر الشباب أن يعلنوا تغيير طرقهم الاحتجاجية باستخدام أدوات العصر المتغيرة ومواكبة الحدث والحداثة. ومضمون الرواية هنا كان قد اتخذ أسلوب قصصي

(١٢) فراشة الميدان، المصدر السابق، ص٢٤.
(١٣) المصدر السابق.
(١٤) المصدر السابق، ص٦٥.

تقليدي لكنه اختار ايقاع زمني تناسب مع روح العصر، فالأحداث الفاصلة في تلك الرواية وحبكتها تمت عبر الواقع الافتراضي، وحتى علاقات البطلة بشخصيات الرواية كانت قد قوت شوكتها عبر هذا الوسيط أيضًا اعترافًا ضمنيًا من الكاتب أن لكل عصر أدواته الخاصة التي تعبر عن المشاعر والفكر بمتطلبات هذا العصر. "وجلست على الانترنت تنتقل بين المواقع المختلفة، فلفت نظرها خبر يفيد بوقف أمين شرطة عن العمل، بعد أن اتهمته إحدى الفتيات المتهمة في قضية آداب باغتصابها"[١٥]. مقطع أظهر أن الواقع الافتراضي أصبح صوتًا صامتًا يخرج كل أنات المقهورين في هذا المجتمع. مكان تذوب فيه الأطياف وتنصهر فيه الطبقات حتى تتحول الصرخات من صرخات إلكترونية إلى صرخات احتجاجية في ميدان التحرير بهدف قهر القهر وتحقيق الانتصار عليه. في رواية (شمس منتصف الليل): "فلقد بحثت سارة على الشبكة العنكبوتية عن ماهية أحمد وعلاقاته عبر الإنترنت المختلفة، وبفضل موقع التواصل الاجتماعي الفيسبوك المحرك الرئيسي لثورات الشعوب وجدت له حسابات على الفيسبوك بإيميله الشخصي وإيميله التابع لشركته المكتوب في الكارت الخاص بالشركة، فالشخصي يتحدث إلى فتيات طالبًا التعرف عليهن"[١٦].

فوجدت الباحثة أن هذه الرواية قد أوضحت جانبًا سلبيًا من استخدام عالم الواقع الافتراضي، فأحمد هنا استخدم الواقع الافتراضي وتنصل من واقعه، وضحّى بالمبادئ والأخلاقيات الدينية والاجتماعية، واستخدم التقنيات الحديثة بهدف الإيقاع بالفتيات و رسم صورة غير حقيقية عن ذاته، فكان استخدامه لموقع التواصل الاجتماعي استخدامًا للجانب السلبي هو جانب سلبي أوضحته أسماء الطنانيّ، لكنه في الوقت نفسه كان هو الوسيلة التي كشفته أمامها، تمامًا مثلمًا فعل Facebook الذي أصبح وسيطًا بين الشباب كشفوا به الوجه الخادع لرأس النظام – بل والنظام بأكمله، فكان الواقع الافتراضي في تلك الرواية سلاح ذو حدين؛ فيمكن أن يُستخدم مثلما استخدمه أحمد في (شمس منتصف الليل)، أو المطرب وحيد مهدي وموقعه الشخصي في (فراشة الميدان) أو كما استخدم في

---

(١٥) فراشة الميدان، مصدر سابق، ص١١٢.

(١٦) شمس منتصف الليل، مصدر سابق، ص١٠٠.

الروايات بشكل عام لأيام الثمانية عشر يومًا كصوت للثورة الصامت على كل وضع صامت. وهذا الأمر كان السمة المتغلبة في الروايات التي بصددها الدراسة "ما زال بسام يجري اتصالاته على الشبكة العنكبوتية فقد قرابة الربع مليون شخص على صفحته الخاصة على الفيسبوك قد قرروا القيام بمظاهرة يوم ٢٥ يناير ٢٠١١ ومعه جهات معارضة ومستغلون بينهم حركة ٦ أبريل وحركة كفاية وشباب الإخوان المسلمين وكذلك مجموعة من الشباب عبر موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك، والتي من أشهرها كان مجموعة (كلنا خالد سعيد)"[١٧]. كانت دعوات مواقع التواصل الاجتماعي هي التقنية الحديثة المستخدمة لإعلان الاحتجاج والثورة على ما حدث نحو أحد الشباب، فالقهر الأمني والسياسي دفع هؤلاء الشباب لاستحداث طرق للتجمع بخلاف المعتاد عليها، وذلك في مواجهة القهر السياسي الذي مارسه النظام على هؤلاء، ورُب ضَارة نافعة؛ فتلك الدعوات أتت أُكلها وجنت ثمارها؛ فقد جمعت من الأعداد ما فاق الأعداد التي جمعتها نظائرها من الطرق المعتادة لمثل تلك الدعوات؛ بل إنها جمعت أطياف مختلفة من الأنماط والأحزاب السياسية والتي كانت في بداية الأمر في فترة الثمانية عشر يومًا، منصهرة في بوتقة غاية واحدة ومشارب محددة، وهي الاحتجاج على ألوان الفساد والظلم التي أجادها ذلك النظام. في رواية الشحاتة في صيف يناير اتحدت خيوط موضوعات الواقع الروائي ما بين الفضاء الافتراضي الذي دار به مهاب عبر بريد زوجته الإلكتروني على الياهوyahoo والتي بدأت تهب فيه رياح التمرد من خلال تغييرها لرقمها السري بعد أن كان يعرفه قبل قهره لشرقي، لتظهر صفحات التواصل الاجتماعي من خلال صفحة facebook، ووجد ضالته في شرقي على صفحة الفيسبوك "نسخ عنوان بريد شرقي الإلكتروني على الياهو في خانة البحث على الفيسبوك. لم تمضِ إلا ثوان معدودة حتى ظهر على يمين الصفحة صورته وأمامه اسمه: الشهيد المبتسم.

أيوة هو.... شر.....شرقي

([١٧]) شمس منتصف الليل، مصدر سابق، ص٨٥.

أخذ يفر صفحة الفيسبوك بحثًا عن صور الشهيد المبتسم"[١٨]. شهدت هذه الرواية تداخلًا في طرق السرد بالتفاعل مع الواقع الافتراضي؛ فقد سرد أحداث الرواية في صورة رسائل يقرؤها مهاب عبر البريد الإلكتروني، ثم تعاود الأحداث للظهور داخل الميدان بين شرقي وشيرين ليعاود بنا الكاتب للأحد عبر رسائل البريد الإلكتروني، وكأن كلاهما يسلم الأحداث للآخر فتظهر الرواية كعقد مصوغة فرائده ما بين السرد التقليدي للرواية وواقع افتراضي متمثل في البريد الإلكتروني الياهو – كوسيط إلكتروني – رغم أنه لم يستخدم فيه تقنيات السرد التفاعلي؛ فالرواية سردت على فضاء إلكتروني لكن لم تحمل أدواته، وتفسير تلك الطريقة لظهور الواقع الافتراضي على هذه الشاكلة لهذه الرواية أُعزيَ إلى طبيعة العلاقة بين شخصيات الرواية التي اقتضت هروبًا من قهر سلطة "مهاب" عبر التجاء شيرين إلى واقع افتراضي تواصلت فيه مع شرقي الذي مثّل تواصله معه في ذهنها تواصلًا مع دفء الماضي والحنين إلى الوطن من خلال تواصلها ولو عبر فضاء إلكتروني مع بقايا وطن ظل بداخلها وإن تركته بالهجرة بحثًا عن استقرار شكلي مع أسرتها، لكنه بَعُد عن الاستقرار النفسي الذي وجدته أولًا في رحابة البريد الإلكتروني حيث رسائلها مع "شرقي" أو من خلال رحابة ميدان التحرير حينما عادت إلى الوطن ولاقت عودتها تزامنا مع الثورة. والثاني تعلق بالكاتب نفسه فمع تجربة الكتابة مع النصوص التفاعلية قد وجد حرية أكثر في استخدام الفضاء الإلكتروني خاصة وأن الواقع الافتراضي كان حاضرًا في الحدث الذي عولج في الرواية لكنه حدث ارتبط ارتباطا أيدلوجيا بمكان مفتوح ولكن ذو حدود جغرافية فما كان في وسع كفافي صياغة تلك الرواية في بنية تفاعلية متكاملة لكن تأثره بتلك البنية جعله يزاوج ما بين الفضاءين ساعده في ذلك كون الواقع الافتراضي محرك من محركات الحدث (ثورة يناير) وهذا ما جاء على لسان الأستاذ كروان في حوار بينه وبين شرين حول أسباب الثورة:

"معاكي حق يا مدام شيرين بس متقدريش تاخدي مثال خالد سعيد أو البو عزيزي أو حتى الفيسبوك وتقولي إن دول بس هما اللي أشعلوا الثورة،

([١٨]) الشحاتة في صيف يناير، أحمد كفافي، ص٤٥.

الظروف هي الوقود الحقيقي، أما البو عزيزي أو خالد سعيد فكانوا أعواد الكبريت التي أشعلت الفتيل في الثورات"[١٩].

أما في رواية (أجندة سيد الأهل) فالكاتب لم يعتمد على معالجة حدث الثورة في نَصه بشكل مباشر وإنما تعرض لبعضٍ من الظواهر التي ظهرت في خلال أحداث التحرير وربما تلك الظواهر كانت هي المحرك الذي دفع الشباب للاحتجاج علي تلك الأوضاع لذا لم تجد الدراسة من أبي الفتوح تناولا للواقع الافتراضي داخل تفاصيل أجندته (روايته)، فقد وضع البطل في مذكراته من تعرض للظاهرة المقصودة – وهي البلطجة – أو نفذها – أي الفاعل أو المفعول بهم – في تلك الفترة، وإنما أشار تلميحًا أن هناك دعوات للتظاهر، لكن لم يشر بأي حال من الأحول إلى كيفية تلك الدعوات أو ماهيتها، وإنما تطرق إلى تأثيرها في داخل الشارع المصري. لكن هذا الأسلوب الذي حاول الابتعاد عن المباشرة لم يمنع المضامين الأخرى في ثنايا الثورة من الطفو على سطح تلك الرواية.

في رواية (سقوط الأقنعة) الواقع الافتراضي أيضًا ظهر على استحياء تحت عنوان فرعي هو "الثورة المصرية البيضاء الأكثر تحضرًا" إشارة في مقطع "قامت وزارة الاتصالات بقطع خدمة الموبايل على الثوار بميدان التحرير وأعادت تشغيلها ليلًا"[٢٠]، "اعتقال وائل غنيم الذي كان من أوائل الذين دعوا للاحتجاجات عبر موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك"[٢١]. مقطعان أخبرا عن الواقع الافتراضي في صورة موجزة كما لو أنها كتبت تقارير لعناوين صحفية ولكن تحت عنوان فرعي آخر (اللوتس والياسمين زهرتان)، ظهر الواقع الافتراضي بشكل أكثر اتساعًا "إلا أن الثوار لم يجدوا مكانًا آمنا يلجئون إليه أو فضاء يسبحون فيه إلا العالم الافتراضي. تجمع الشباب فرادى وزرافات في الفضاء الإلكتروني، وأضحت الإنترنت هي عالمهم المفضل مترامي الأطراف. شعر الشباب لأول مرة بأن ثمة رابطة عجيبة"[٢٢]؛ فالواقع الافتراضي بات هو الملجأ للثوار للتغلب على قهر السلطات ومحاولة التأثير على قدرتهم على

---

(١٩) الشحاتة في صيف يناير، مصدر سابق، ص٦١.
(٢٠) سقوط الأقنعة، مصدر سابق، ص٧.
(٢١) المصدر السابق، ص٩.
(٢٢) المصدر السابق، ص٥٦.

الاحتجاج والتعبير عن آرائهم. وبدا الواقع الافتراضي ووسائله في رواية (٧ أيام في التحرير) من خلال "كان باسم في حوار على الكمبيوتر مع شيرين كالعادة كان قد فقد إحساسه بالزمن كلما التقي حبيبة القلب. أكثر من ثلاث ساعات كانت قد مرت منذ فتحَا كومبيوتراتهما، ولكن الساعات مرت ثوان على القلوب اليافعة التي تصدح بالحب لم يكن الحوار رومانسيًا على الإطلاق، فقد كانت شيرين متدفقة الحماسة وهي تحكي لباسم عن تفاصيل وتدابير اليوم التالي. كانت هي التي نبهت باسم إلى الدعوة التي انتشرت على الفيسبوك للتظاهر يوم ٢٥ يناير يوم عيد الشرطة"[٢٣] هكذا فقد اختفى إحساس الحب الشخصي أمام الحب الأكبر، وهو حب الوطن، فقد كان حوارهما الإلكتروني الذي انتفى الزمن منه ترفع عن الأحاديث الخاصة فسما إلى الانشغال بمصر والدعوة التي دعت إليها طرق جديد من وسائل التجمع والتواصل دعوة لتظاهر واحتجاج في اختيار عبقري للزمان، فتحول الاحتفال بعيد الشرطة لاحتجاج على أفعال بعضهم وتجاوزاتهم التي سببت للشباب خاصة حنقًا جعلهم انتفضوا للاحتجاج ولكن هذه الانتفاضة صاحبها نوع من التحايل علي وسيلة تجمعهم المعتادة فكان عنصر المفاجأة من خلال استخدام وسائل التواصل الاجتماعي والفيسبوك، فعاود الظهور مرة أخرى من خلال المقطع "كلما تذكر تصورات أبيه عن استعمالات الشباب للإنترنت. قطع تجواله رسالة من شيرين"[٢٤]، وبين اختلاف الأجيال والمراحل الزمنية المختلفة والرؤي المتباينة لوسائل التكنولوجيا الحديثة ومواقع التواصل الاجتماعي جعلت هناك هوة وصراع في التفكير بين الآباء والأبناء حول استخدام التقنيات الحديثة للحاسوب ممثلة في وسائل التواصل الاجتماعي فظهر الأب في أحد المقاطع رؤيته السلبية لاستخدام الحاسوب قائلًا: "الكمبيوتر هذا سيخرب دماغك.. يا بني أنت في بكالوريوس ركز كي تخلص من صداع المذاكرة وتبدأ حياتك"[٢٥] فالابن كانت مثل هذه الوسائل هي شغله الشاغل ليس هو فحسب وإنما غيره من الشباب "لم يستطع باسم نومًا – كثيرًا أو متصلًا – في ليلته، تمامًا كليالي امتحاناته، ومع الفجر كان جالسًا إلى

(٢٣) ٧ أيام في التحرير، مصدر سابق، ص١٣.
(٢٤) المصدر السابق، ص٣١.
(٢٥) المصدر السابق، ص١٤.

الكمبيوتر متجولًا بين عدة مواقع دأب على زيارتها خلال الأسابيع الماضية. على الفيسبوك زار موقع ٦ أبريل وصفحة كلنا خالد سعيد، كلاهما أكدا الدعوة للتظاهر والخروج للتعبير عن الغضب وعدم الرضا الذي ضمته الصدور"[٢٦]، فقد أصبح الإنترنت بالنسبة للشباب وسيلة من وسائل الإعلام ومصدر من مصادر المعرفة الحديثة التي لم يدركها الآباء ونظروا إليها نظرة سلبية، وهناك من الشخصيات داخل الرواية الذي مثل الواقع الافتراضي بالنسبة لهم الملاذ الآمن للعودة من طريق الوهم، وهكذا كان حال إلهام وقصتها مع عبد الحميد؛ فعندما تركها واستفاقت على وحدتها وسفره وتركه لها بدأت تدرك الحقائق من خلال واقع تباين في طرائقه وتجمعاته هو مواقع التواصل الاجتماعي "وكالعادة كانت أولى محطاتها الفيسبوك كما اعتادت. وبالأصح كما أدمنت مؤخرًا الأسبوع الماضي كله. لفت انتباهها الدعوة إلى يوم الغضب؛ كانت إلهام متعاطفة جدًا مع أسباب الدعوة، فكرت في كل أصدقائها وجيرانها وما يرزحون تحته من ظلم وفقر مدقع. الخاطر الذي سيطر عليها كان أنها لولا فضل الله الذي أعطاها عبد الحميد سترًا وأمانا لكانت غالبا من المشاركات في الوقفة. ولكنها أيضًا كانت تعلم أن الحكومة والشرطة لن يتركا مثل هذه المظاهرات تستشري أو تزيد عن المسموح هذا ما كبرت عليه إلهام هي وجيلها: كل شيء في حدود المسموح. معرفتها بعبد الحميد ونشاطه الحزبي الذي طالما تباهي به"[٢٧]

وفي رواية (أشياء في الميدان) وبحوار ما بين سري وأحد المتظاهرين بينت أنه عرف بالأمر من خلال صفحات الفيسبوك، فالواقع الافتراضي بات بوق الثورة الصامت والأكثر أمانًا لمتابعة الدعوة للتظاهر "أنا حضرت الميدان متأخرًا لكن صدقني كنت متابعًا موضوع المظاهرات من قبلها بشهور مع مقتل "خالد سعيد" وأنا في حوار مع أناس لا أعرفهم على النت متخرج منذ أكثر من سنتين ولم أجد عملًا انشغلت أكثر من الكمبيوتر وأصبحت ضمن جروب (كلنا خالد سعيد)"[٢٨] فالدعوة إلى التظاهر جاءت في بدايتها عبر مواقع التواصل

([٢٦]) ٧ أيام في التحرير، مصدر سابق، ص٣١.
([٢٧]) المصدر السابق، ص٣٥.
([٢٨]) أشياء عادية في الميدان، مصدر سابق، ص٩٦.

الاجتماعي والفيسبوك الذي أراد بصوته الصامت التغلب على ذلك القهر الاقتصادي.

بينما كانت رواية (إمبراطورية المساخيط الفيساوية) قد نسجت أحداثها وحبكتها الدرامية وسير شخصياتها على شكل متخيل من مملكة افتراضية تظهر بداية من العتبات النصية ومتن الرواية الحكائي. بدا الواقع الافتراضي بطلًا محركًا للأحداث وتحت عنوان فرعي "ليلة من ألف ليلة وليلة" جاء هذا المقطع "وانتقل الموكب يجوب الشوارع والحواري والبلاد وينتقل من مكان إلى مكان على بساط الريح الفيسبوكي ... وانتقل الحفل عبر البساط السحري (الفيسبوك) وينتقل من عاصمة لعاصمة ومن مدينة لمدينة"[٢٩]. هنا فضاء الرواية المكاني هو الواقع الافتراضي فهو تحكم في سير الرواية وحركها فسردت بعيدًا عن المباشرة تمامًا مثلما استخدم المتظاهرون الواقع الافتراضي في الثمانية عشر يومًا كأداة جمعت الشباب ودعت الجميع بعيدًا عن الطرق التقليدية للدعوات السابقة. وإعلام تلك الامبراطورية الافتراضية هو الواقع الافتراضي، فتخلت الرواية عن وسائل الإعلام التقليدية وجعلت بدلًا منه بثًا مباشرًا عبر قنوات الفيسبوك "بمجرد تنصيب الإمبراطورة وإذاعة الخبر عبر قنوات الفيسبوك الذي نقل الاحتفالية عن طريق مقاطع الفيديو التي انتشرت بسرعة البرق على صفحاته وجروباته المؤيدة للإمبراطورية أو حتى المعارضة لها"[٣٠].

وفي رواية (ليلة التحرير) جاء المقطع "وصلت إلى البيت في الرابعة صباحًا وجدت الجميع نائمين. كنت قد اتصلت بأبي نحو الثانية وطمأنته. هرعت نحو جهاز الكمبيوتر وفتحت الفيسبوك لأتابع الموقف وأرى تحركات الأصدقاء والزملاء ورسائلهم، وأسعدني ما وجدته من حماس وإصرار على المواصلة على الغد كان هناك الكثير من الأفلام التي التقطت للمظاهرات في مختلف أنحاء البلاد مرفوعة على الفيس واليوتيوب"[٣١] فقد كان الواقع الافتراضي هو المحرك الرئيس في كل أحداث الثورة وقد كان بديلًا عن الدور الذي تخلت عنه

([٢٩]) محمود رمضان الطهطاوي، إمبراطورية المساخيط الفيساوية، دار المحروسة للنشر، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م، ص٢٥-٢٦.

([٣٠]) المصدر السابق، ص٢٧.

([٣١]) ليلة التحرير، مصدر سابق، ص٢٦.

وسائل إعلام النظام فتوجه الشباب إلى الواقع الافتراضي وخاصة مواقع التواصل الاجتماعي: الفيسبوك واليوتيوب.

وفي رواية (طلب صداقة) كان العنوان الفرعي الأخير سرد حكاياه بتأثير من الواقع الافتراضي: "شباب الكفر يكتبون عن شوقهم إلى رؤياي، أرسلوا إليَّ إيميل وتواصلنا، فعرفت شباب كفر أبو العيون صمموا جروب باسم صحوة وأنهم لا يصدقون حين يتحدث آباؤم عني بأنهم كانوا يسمونني الضحاك، عرفت منهم أن عماد وجيه ما زال متسلطنًا في الحزب واستطاع أن يفعل بمعارفه أكثر من أبيه وأنه استولى على أملاك الدولة ويأخذ العمولات من الباحثين عن وظيفة ويقوم بالبناء على الأرض الزراعية ويقف ضدهم في أي عمل تطوعي وأرسلوا إليَّ هواتفهم وقلت لهم "إن بيتي مفتوح للجميع ... كان التواصل معهم ممتعًا"[٣٢]. مقطع أعاد الحيوية لكاتب عبر تواصله مع الشباب وحتى أن المجموعة التي اختاروها للتواصل كانت تحت اسم صحوة، أي أن الواقع الافتراضي كان الأمل في تجمع الناس وإيقاظهم من غفلتهم فتكون الصحوة، وهذه الصفحة – أو الصحوة – هي التي أيقظت الكاتب؛ عرفته على الثورة وشبابها وشعوره بأنه كان في معزل عن الواقع، فأعادته صفحات الواقع الافتراضي من عزلته، فتكشفت له الحقائق. "هم الذين بادروا بدعوتي إلى الانضمام لشباب الثورة، ساعتها بدأت تتكشف الأمور لدي في كل لحظة أشعر أنني كنت غائبًا في هذا الوطن وعن نفسي، كانت كلماتهم جديدة وجميلة ومحفزة، قالوا سنذهب غدًا إلى ميدان التحرير، قلت لهم ستجدونني هناك هاتفوني"[٣٣]. لم يكن موقع الفيسبوك ومواقع التواصل الاجتماعي لكن كان لمواقع أخرى دورًا في الحديث عن الثورة وما حولها، من تلك المواقع ما ظهر في رواية (سقوط الأقنعة) حول موقع "ويكيليكس" نشر وثائق عن محاولة بعض القنوات نشر القنوات الإعلامية الخارجية في محاولة لدرء فشل النظام وإظهار وجوه سلبية للثورة ومن دعمها "أنباء غريبة جدًا من موقع "ويكيليكس" عن استخدام قطر لقناة الجزيرة لعمل فتنة بين المصريين ونشر

(٣٢) طلب صداقة، مصدر سابق، ص٢٠٢.
(٣٣) طلب صداقة، مصدر سابق، ص٢٠٣.

الموقع وثيقة تفيد تأكيد وزير الخارجية القطري لنظيره الإسرائيلي على قيام القناة بنشر الفتنة بين المصريين، لكن الجزيرة نفت الوثيقة شكلًا وموضوعًا"[٣٤]، وقد عادت مواقع التواصل الاجتماعي للظهور من جديد، فكان صوت الثورة الصامت، فتجمعوا بشكل فردي وجماعي؛ فقد كان هدفهم التغيير وأصبح هذا المكان الافتراضي هو مكانهم المفضل وملجأهم الوحيد؛ لأنهم فقدوا الأمان في أن يصل صوتهم دون أن يتعرضوا لبطش النظام. "كانت حيلة الثوار لسماع بعضهم البعض وأحداث التواصل المأمول هو العالم الافتراضي لم يجدوا من يسمع لآرائهم، فاتجهوا لتكوين شبكات اجتماعية على الإنترنت"[٣٥] وفي تلك الشبكات تلاقت أنات المظلومين وتشابكت دوافعهم ليكونوا مثل البنيان المرصوص أكمل بعضهم بعضًا. "فوجئ كل مظلوم بأنه ليس وحده الذي يريد الثورة. إلا أن الثوار لم يجدوا مكانًا آمنا يلجؤون إليه أو فضاءً يسبحون فيه إلا العالم الافتراضي. تجمع الشباب فرادى وزرافات في الفضاء الإلكتروني، وأضحى الانترنت هو عالمهم المفضل مترامي الأطراف. شعر الشباب لأول مرة أن ثمة رابطة عجيبة تجمعهم وكأنهم بنيان هائل يشد بعضه بعضا. هدفهم الوحيد هو التغيير،كل له وجهة نظر كان يرسلها إلى أصدقائه ويبثهم همومه وأشجانه وآلامه وأحزانه عبر الأثير"[٣٦].

الخاتمة

وتأسيسًا لما سبق للدراسة أن أفردت له في ثنايا صفحاتها يمكن للباحثة

فكان من أساليب مقاومة هذا القهر هو التحديث في وسائل التواصل التقليدية واللجوء إلى وسائل تواصل افتراضية لا يمكن الوصول إليها، أو قيد الحريات من خلالها. وروايات الثورة تناولت الواقع الافتراضي، ليس فقط كوسيلة تواصل افتراضية؛ وإنما لأن الواقع الافتراضي حل محل وسائل الإعلام التي تراجعت في أداء دورها.

وقد صنفت الباحثة الروايات في هذا المبحث إلى:

([٣٤]) سقوط الأقنعة، مصدر سابق، ص١٧.
([٣٥]) المصدر السابق، ص١٧١.
([٣٦]) المصدر السابق،ص١٧١.

- روايات كان الواقع الافتراضي هو موضوعها الروائي الذي ناقشت من خلاله كل القضايا:

- إمبراطورية المساخيط الفيساوية

روايات الواقع الافتراضي كان وسيلة لثورة الرواية على التقليدية:
طلب صداقة
٧ أيام في التحرير
الشحاتة في صيف يناير
فراشة الميدان
سقوط الأقنعة
سقوط الصمت

وروايات ظهر فيها الواقع الافتراضي علي استحياء كوسيلة تواصل في أحداث الثورة لا يمكن إغفالها في روايات كان موضوعها هو الثورة:

أجندة سيد الأهل: وكان هذا من وجهة نظر الباحثة يمكن أن يعد أمرا مقبولا لأن الرواية لم تتطرق إلي الأحداث بنوع من المباشرة وأن كان حديثها حول ظاهرة من ظواهر الثمانية عشر يوما فكانت الإشارة إلي أداة التواصل بين الشباب بشكل خاطف.

ثورة العرايا: موضوعها الروائي كان حول حمار وثورة ذويه التي أشبهت ثورة المصريين فالحديث عن الواقع الافتراضي كان مقتضبا بشكل مقبول.

ليلة التحرير: لإن الحدث كان مرتبطا في الرواية بما حدث داخل ميدان التحرير فكان الحديث عن الواقع الافتراضي كان وسيلة متوارية.

أما بالنسبة لصورة الإعلام ورؤاه السلبية، فتلك السلبية أظهرت وسائل حديثة للإعلام لجأ إليها الشباب كصورة بديلة عن الإعلام المتخاذل عن واجباته في بداية الثمانية عشر يومًا. وكانت أيضًا هي وسائل التواصل الاجتماعي، وأظهرت أيضًا الروايات وسائل إعلام تقليدية عالمية وعربية. وقد صنفت الباحثة روايات الدراسة طبقًا لهذا المبحث إلى:

روايات في مضمونها على وسائل الإعلام التقليدية، والتي انقسمت إلى:

- **وسائل إعلام رسمية.**
- **وسائل إعلام عربية وغربية (بديلة).**

وتلك الروايات هي:

- **سقوط الأقنعة.**
- **أشياء عادية في الميدان.**
- **الشحاتة في صيف يناير.**
- **ثورة العرايا.**
- **شمس منتصف الليل.**

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

المصادر

- أشياء عادية في الميدان، السيد نجم، دار الهلال المصرية، الطبعة الأولى.
- الشحاتة في صيف يناير، أحمد كفافي دار الحضارة للنشر، طبعة ٢٠١٢..
- إمبراطورية المساخيط الفيساوية، محمود رمضان الطهطاوي، الطبعة الأولى، ٢٠١١.
- ثورة العرايا، محمود أحمد علي، مجموعة النيل، الطبعة الأولى،
- سقوط الأقنعة، محمد مصطفى عبد التواب، مجموعة النيل العربية، الطبعة الأولى، ٢٠١٤.
- سقوط الصمت، د. عمار علي حسن، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الثانية، ٢٠١٣.
- شمس منتصف الليل، د أسماء الطناني، مكتبة جزيرة الورد، الطبعة الثالثة، ٢٠١١.
- طلب صداقة، محمد عبد الحكم حسن، مجموعة النيل العربية، الطبعة الأولى، ٢٠١٤.
- فراشة الميدان، سلطان الحجار، دار صفصافة الطبعة الأولى، ٢٠١٢.
- ليلة التحرير، محمد العون، الحضارة للنشر، الطبعة الأولى، ٢٠١١.
- ٧ أيام في التحرير، هشام الخشن، الطبعة الأولى، ٢٠١١.

المصادر الورقية

- زمن الرواية، د. جابر عصفور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الأولى، ١٩٩٩.
- عصر الصورة السلبيات والإيجابيات، د. شاكر عبد الحميد، عالم المعرفة طبعة ٣١١، بدون سنة نشر.

المصادر الأجنبية

)[1](Al-mawrid:AmodernEnglish-arabicDictionary by MunirBaalbaki copyright by DAR-ElIlm Lil-Malayan Beirut-Lebanon –copyright-no(31) ٩٧ p:473.

الملاحق

محمود أحمد علي
ثورة العرايا
مجموعة النيل العربية

طلب صداقة
محمد عبد الحكم حسن

أسطورة العصابة
الفيسارية
محمود المنصلاوي